كان واضحا ان السياسات التي ينهجها النظام هي سياسات مرتهنة للذمة مما سنحدث ، وانه ليس مسؤولا عما جرى وبين مرة واخرى يختار نقطة معينة حساسة ستثير مشاعر الجماهير لتقفز عليها حتى يلتقطها لاعادة تقوية مواقعه بعد ان تصل الى مأزق سياسي واقتصادي معينة .

هذا الوضع يعودنا عليه وبالتالي عندما كانت النتائج المترتبة على حزيران، صحيح ان الحركة الوطنية الاردنية في منظماتها الاساسية واحزابها كانت معروفة وعلنية بين السجون وبين الخارج وفي عملية احباط وتدمير كاملة لشخصيتها ، يجب ان لم نستطع ان نحصدي للمهمة فور وقوع الاحتلال الا ان المقاومة واشهار البندقية الفلسطينية (بداية فتح) ، لكن عملية الاشهار للبندقية بدات تشق طريقها في وسط الجماهير ومسالة الوحدات الثورية بدات تعيد تكتلة حزيران مباشرة . الواقع ان النظام كان لا يسمح سياسيا وحتى على مستوى ادواته القمعية ، كان يتصدى للظاهرة منذ بدايتها ، كان في وضع مرتبك يحب ان الانكسار المعنوي والنفسي وحتى المؤسسات مترهلة ومتفككة يجب استطاع ان يوجد متاخا من التماس مع الظاهرة . وقد فوجئ بالملك في بعض المرات ان يدعي انه الفدائي الاول بالاردن .

ونحن نعرف بالمعاناة الطويلة من خلال تجربتنا الطويلة مع النظام الاردني ان هذه الفترة مؤقتة حتى يعود ويلتف على هذا الوجود الوطني المسلح ويقوم بعملية القضم له .

هذا الوضع الذي كان فيه النظام الاردني يتبع تكتيكات على جبهتين :

على الجبهة العالمية اولا اظهار الارتياح لظاهرة الوجود المسلح والوجود الوطني الفلسطيني التفاضي عن هذا الوجود .. الخ ، بالرغم من انه في بعض الفترات كان يدخل معارك اختبارية وبين فترة واخرى يحاول تطبيقها ، مثل معركة شباط ١٩٦٨ في الاغوار ومعركة شهر تشرين الثاني في عام ١٩٦٨ في عمان ، معركة جسر المطحة والوحدات ، ومعركة ١٩٦٩/٢/١٠ . كان يدخل معارك اختبارية لكن تكتيكه المعلن هو التعايش مع هذه الظاهرة . النمط الاخر الذي كان يمارسه هو اعادة بناء مؤسساته من جديد حتى يستطيع الانقضاض على هذه الظاهرة . وهنا ، يخلق مناخا سياسيا من الشكوى والتذمر من التجاوزات ، والخ .

هذا الوضع من غير شك سمح للنظام ان يعاطي مع المسالة ضمن التوازنات فيما بين الاعلان عن التفاضي والتعايش مع المقاومة وبين الاعدادات الذاتية لمؤسساته ، وشعر النظام بمخاطر هذا الوجود وتنامية خاصة ان هذا الوجود لم يعد وجودا واحدا بمعنى الفصائل السلبية بمعنى الاكتفاء بتوزيع البيان او المظاهرة .

اصبحت البندقية تفرض نفسها على الشارع وتستقطب الجماهير وهي مستوفة لان تشارك في القتال الذي حرمت منه اكثر من ٢٥ عاما ويجب ديمغوجيه الاعلام العربي كالتحرير وفلسطين . فوجدت الجماهير انه في ظل حالة التردي والهزيمة ان تاقدها ومعرفها الوحيد هذا الطريق .

طبعا نحن ندرك تماما ان هذا النمط من الانظمة يخشى مجرد الوجود الوطني بدون سلاح فما بالك اذا وجد السلاح مع هذا الوجود الوطني ، وهو اصبح يدرك ان هذا الوجود الوطني ، المتصادم مع العدو الصهيوني يطرح امام الجماهير والسر الاردنية فقط وانما الجماهير الفلسطينية والعربية ، ان هذا هو الخيار البديل لسياسات العجز العربية ، طريق حرب الشعب والكفاح المسلح ، بعبئة الجماهير ، حشدها ، تنظيمها ، هو الطريق الى التحرير . وهذا عمليا وبالتدريج سيمس قدرة هذه الانظمة على امكانية لعب دور تضليلي من جديد للجماهير .

الشيء الاخر هو ان هذه البندقية اصبحت لهيا قوة . حيث ان هذه التنظيمات لها حق تصدي عبر الى خوض الصراع مع العدو الطبقي والقومي الجماهير الكادحة صاحبة المصلحة الحقيقية في استمرار الثورة واستعدادها للتضحية ، اثناء المخيمات ، اثناء القرى الاخرى تقدمون عطاءهم الصحيح .

وقد استفادوا من وجود البندقية والبرجوازية الوطنية والبرجوازية الصغيرة لكن هذا بالتالي يفرض نفسه حتى تاخذ مضامينها الاجتماعية ، وهنا يصبح الرعب الاكبر بمعنى كونها تاخذ مضامينها الاجتماعية فان هذا سيشكل خطورة ليس فقط على المستوى الوطني فيما يتعلق بمشكلة مواجهة العدو وانما على المستوى الطبقي بما يتعلق بهذه الفئات التي تشكل قمة الهرم بالنسبة للنظام الرجعي وانه انظمة شبيهة له .

من هنا كان الشعور بتفاقم الخطر من جهة النظام يتسجم مع طبيعته منذ نشاته ، كونه تعايش لفترة تحت برنيق مخادع ، كالفدائي الاول وغيرها ممن المعابر لا تلغي اساسه العدواني ضد قوى التحرر الوطني محليا وعربيا . وانتظاره هذه الفرصة حتى يأتي اللحظة المناسبة في عملية الضرب ، لم تكن هي سلاحه الوحيد الذي استطاع ان يستعمله في ضرب المقاومة وبالتالي هذا اضاف له موضوع اخر هو موضوعه الدروس التي استخرجناها من المعركة .

كنا ضمن المنظمات المتقدمة في هذا المجال حيث مارسنا النقد في مؤتمر اذار سنة ١٩٧٢ واثبت الدروس التي استخرجت استحالة التعايش بين القوى الوطنية والتقدمية وخاصة عندما تكون تحمل السلاح وقوى رجعية على ارض واحدة لفترة من الزمن .

قد تجري عملية تعايش مؤقتة ، ولن تعطي هذا التعايش هذاه الطويل وسائر في النهاية الجهة التي تحسم هذا الصراع اما القوى الوطنية واما القوى المرجعية ، استحالة التعايش ، ، هذا ، احد الدروس الاساسية .

الدرس الثاني دور الحركة الوطنية وجماهيرها في البلد الذي تواجد فيه المقاومة ، مثل الحركة الوطنية في لبنان ، والحركة الوطنية الاردنية ودورها في الاردن ، من حيث حمايته الثورة وحماية البندقية والتعاون معها كي تصبح شريك اساسي في المعركة على المستوى القومي وعلى المستوى الطبقي ولا يجوز نفي دورها او اضعافه او احتواؤه . ان تجاهل الدور الوطني للحركة الوطنية والتعاطي معه على اساس انه جزء من المعركة لا يجوز ولكن يجب ان تكون له شخصيته الوطنية والسياسية البرنامجية في داخل هذه المعركة . هذا ايضا الدرس الثاني من الدروس المستفاده .

الدرس الثالث التكتيكات الخاطئة التي استخدمت . عسكريا صحيح ان النظام كان متفوقا ، وكما قلت دخل معنا معارك اختبارية لكن النظام كانت اهدافه النهائية انهاء هذه الظاهرة ظاهرة الوجود الوطني ومن ثم العودة الى حماية الامتداد الصهيوني (دوره بعد ٤٨) هذا الدرس بالتكتيكات التي اعتمدت المعركة عسكريا لم تكن خاسرة مع النظام . صحيح كان هناك الاف الضحايا والتدمير في الاحياء والمخيمات والمدن ، قطعوا وسائل العيش البسيطة عن الناس ، المياه والصحة .. الخ ، لكن مع ذلك بقي الصمود ، دفعت الناس الضحايا ، لكن بقي صمودها .

الهزيمة لم تكن عسكرية كانت بالتكتيكات الخاطئة التي رافقها عودة « لامكانية التعايش على ارض واحدة مع النظام الاردني » مستخدما النظام الاردني في تلك المرحلة الحرجة المظلة العربية فيما عرف باسم « لجنة الهدنة العربية » وتمرير هذه التكتيكات عن طريق لجنة الهدنة العربية ، والمساومة على اساسها .. هذا الموقع ناخذه منا اليوم ثم نرتد الى موقع اخر هذا مخفر .. هذا موقع اثري .. الخ . بالنتيجة حتما سيؤدي الى ضربه نهائيا كما حصل في جرش وعجلون ١٩٧١ . هذا الحشد المعنوي السياسي القتالي الجماهيري الذي كان ، وكل الاستعدادات التي كانت في ايلول ، بدات تبدد والتشققات تاكله من الداخل ، يعني كان يقال هناك نازلات فلماذا القتال .. الخ !! امكانية التعايش ، شعارات عدم الدخل .. الخ ، وفعلا مرر النظام خطوطه بالطريقة الناجحة ، وفعلا اقول عنها انها ناجحة مقابلها تكتيكات قاده منظمة التحرير الفلسطينية التي ادت بالنتيجة الى هزيمة ١٩٧٠ .

صحيح انه لم يكن بمقدورنا ان نقول اننا كنا قادرين على اسقاط النظام في معركة واحدة ، او حتى فيما قبل ايلول لكن كان على الاقل وضوح الموقف

السياسي وتجنب التكتيكات الخاطئة والمدانة تجعلنا اكثر استعدادا للصمود والبقاء ومعارعه النظام تكتيكيا على الموقع وحفنا في البقاء بين جماهيرنا والاستمرار في العمليات .

الدرس الرابع الذي استخرج هو نمط التشكيلات التنظيمية في تنظيمات المقاومة في الاردن . اعتمدت الظاهرة العلنية بارتياح تام كانها لا يمكن ان تكون هناك معركة وعدم حساب امكانية انقلاب المعركة لمصلحة النظام ، وبالتالي الوضع التنظيمي مكشوف والقطاعات العسكرية مكشوفة والاجهزة ، والسلاح .. الخ ، وكاننا على ارض محررة . تصرفنا من هذا المنطلق الخاطىء وكاننا على ارض محررة . كان يجب ان تتم عملية بناء تنظيمي وجماهيري وسليجي وتعبوي على اساس فرض اسوا الاحتمالات ، وعطلت الضربة عندما حصلت امكانياتنا لعدد اعوام .

هذه ايضا من الدروس التي استخرجت من المعركة . اقتصاديا ، ليس من الضروره ان ندخل في توضيح النظام الاقتصادي وتبعيته ، فما من شك في ان البرجوازية التابعة والتي تنهض بحكم ثروات النفط في المنطقة العربية يعني بدات تصب البرجوازية في الاردن ، حتى وان لم تكن الاردن مالكا لآبار النفط ، فان اموال النفط تصب ايضا في جيوب البرجوازية الاردنية ، معونات ومقاولين وشركات بدات تعطي البرجوازية مواقع ، وبالتالي بدات هذه البرجوازية تاخذ مواقعها بشكل اكثر شراهة في استغلال الجماهير من موقع ارتباح فعلي لوجود وطني قادر على ان يشكل نقطه تصدي للنظام . هذه الطبيعة سبقى على علاقه وطيدة بمخطط الامبريالية وبيقى هذا النظام قادرا على تادية وظيفته المطلوبة منه في الاستمرار بالقيام بعمليات القمع واعاقة النمو للمقاومة .

نقطة اخرى وهي ان المراحل التي مر فيها النظام وسياسته ، منذ نشاته ويجب ان نتنبه لها ، وهي ان هذا النظام في مراحله الاولى كان جسرا للمرور بمساعده الاستعمار البريطاني ثم جاءت مرحلة فيما بعد الاربعينات لتشكل العائق والحاجز امام نمو القوى الوطنية الفلسطينية في مصارعه العدو الصهيوني ثم الان ينتقل الى موقع اخر ليكون جسرا بين الوجود الصهيوني وعموم المنطقة العربية اقتصاديا وثقافيا وسياسيا . هذه المحطات الاساسية .

وكما قلت قبله الحديث عن هذا الموضوع بمناسبة ايلول وشهداء ايلول ودماء شعبنا في ايلول وايضا الذي قسم كبير منه على هذه الارض ونقيم عليها ، يجب ان نأخذ الدروس المستخلصه ، لعمليه بناء ومراجعه لكل السياسات السابقة .

☐ كما نعلم كنت احد القده المقاتلين في جبهة الوحدات ، فهل لك ان تصف لنا عملية الدفاع البطوله عن ذلك المحور ؟

ـ كنت افضل بعد مرور تسع سنوات على ذكرى المعركة ان يجري التركيز على الموضوع السياسي لاستخراج الدروس الا انه لا نستطيع ان نلغي من راسنا ذكريات ومشاعر بقدر ما فيها الام من عدد الضحايا والشهداء من مقاتلينا وجماهيرنا لكن فيها اعتزاز عميق لطبيعه الصمود الذي مثله جماهيرنا في الاردن وفي الوحدات كونها كانت نقطه ارتكاز في القتال ونقطه قوته . العدو قد حاول منذ الساعات الاولى من عدوانه صبيحة ١٦ ايلول في معركة مكشوفه بالدبابات مسنوده بالقصف المدفعي من مواقع ومراكز بمحيط عمان الجنوبي هذه المعركة استمرت ٩ أيام متواصله على مدى ٢٤ ساعة بدون توقف تستخدم فيها كافة الاسلحة وتكرر فيها يوميا الهجمات بالدروع وكان لا نستطيع الواحد الا ان نقول انه صمود رائع رغم حجم الدمار الذي اصاب المنطقة من اول يوم وماني يوم لدرجه انه لم يعد هناك ماء . قطعوا كل الماء في عمليه تدمير خزانات المخيم ، لم يعد امكانية للوصول الى مستشفى الاسرة الغربي من الوحدات سحبه كافه المضف والميران بالمدفعية ومع ذلك يعتز ويتذكر العديد من الرفاق المقاتلين وخاصه منهم من استشهد يعني في الايام الاولى للقتال سواء هاصل البكري ، ابو علي العسكري او العديد من الرفاق الاخرين من مواقع عديده وصمود رفاق ما زالوا احياء ابو صالح وجمال العربي وكانوا مفودين المحاور وكانت هناك وحدة وطنيه رهيبة جدا في خنادق القتال لا نستطيع ان نفرق هذا المقاتل من هذا التنظيم او ذاك التنظيم . كانت خنادق موحدة للقتال في مواجهه العدوان ، جميع ما نستطيعه من خدمات ، كانت مؤمنة ، وجميع ما نستطيع من تبديلات في المواقع .

هذه الذكرى ، بقدر ما تحمل من الام من حجم الخساره والتضحيات لكنها تحمل اعتزازا ، صحيح ، انه الحقت بنا هزيمة . لكننا لا نشعر بان هذه التضحيات خساره بل هي جزء من مرات شعبنا النضالي في التحدي والصمود ، وتوضح الى اي مدى استعداده في تقديم التضحيه للدفاع عن الثورة والبندقية وحقه في استمرار هذه الثوره .

☐ من المعروف ان النظام الاردني سلك عدة محاولات فاشلة ، وتعبوية وعبره يمكنه من القضاء على المقاومة فهل يمكن اعتبارها صوره اجماليه لتحرك المقاومة مع الجماهير الاردنيه والحركه الوطنيه الاردنيه .

ـ ما من شك ان النظام الاردني استخدم جملة من التحركات التكتيكية القمعوية الا انه بالقدر الذي كانت مكتسومة من النظام واسلوبه في الحركة والقمعوية . (لم نستطع ان يخدع الناس دوما) لكن نستطيع ان نقول ان النظام استعاد الى حد كبير من ثغرات المقاومة .

وكما ذكرت في البداية عند مئات لتكون شريكا فعليا للنظام في المعركة . وكانت وسيلة النظام الكبرى في اساليبه المبتذله والرخيصة بحكم التخلف ، وخاصة ما احدثته من ثغره اقليمية ، وهي احدى الاسلحة التي استخدمتها ، في المؤسسات مثل السلطة او الجيش ، او داخل تجمعاته السكنية ، داخل القرى والمدن .

وكان باستمرار يضخم ويبشع الاخطاء لا نستطيع ان نقول انه لم يكن تحصل اخطاء مسلكية صغيرة هنا ، وهناك . لا نستطيع ان نطلب من الناس ان يكونوا ملائكة بمعني ما دام هناك عمل ، فلا بد ان تكون اخطاء وبدلا من المحاسبة على الاخطاء استمر النظام الاخطاء واضاف لها بحيث بضمها امام الناس لخلق المناخ التحريضي الدعاوي ضد المقاومة لدرجة انه خلق مؤسسات موهومة عززها من جهازه الخاص للقيام بتصرفات شائنة باسم المقاومة الفلسطينية ، ولم يكن لها علاقة بالمقاومة ، ولا بعناصر المقاومة ، مثال ، ان يدفع عناصر المخابرات من الجهاز الخاص والذي كان مسؤولا عنه بالذات الشريف ناصر ، وهو خال الملك ، يدفعها باتجاه ان تخطف جندي وتقطع راسه وتذهبون براس الجندي الى الوحدات العسكرية ويقولون لهم تفضلوا وانظروا كيف يقطعون راس الجندي ، الذي يقف في الاغوار وفي مواجهة العدو ، كان يقوم هذه الاعمال على انها اخطاء مسلكية تصدر عن افراد في المقاومة يستثيرها من اجل خلق مناخ تحريضي وكانت هذه خطيئة بمعنى خلق المناخ الاقليمي وهو يركز عليه في مواجهتنا بالاضافة الى ذلك خلق جو من الشائعات المخيفة للنظام الاردني كما تشابه اشاعات التوطين في لبنان الان تماما ، يعني يبدو انهم يفتحون الملف من جديد لستفيدوا منه في ضرب علاقة الجماهير مع المقاومة في لبنان .

كانت في تلك الفترة الشائعات مخيفة لابناء شعبنا في الاردن ، وخاصة الناس البسطاء الذين ليس عندهم التعمق في الموضوعات السياسية .

الفلسطينيون ليس لهم وطن وسيأخذون بشرق الاردن كوطن بديل ومصيركم ان تصبحوا لاجئين في الصحراء .. الخ من هذه التخويفات .

طبعا الناس السذج والبسطاء يصدقونها والناس العاديين يمضغونها ويدمغون بها ، والنقطه التي وقعنا فيها هي اننا اهملنا مثل هذه السياسات المقترحة للنظام في رفع وتيرة التحريض والتعبئة ضد المقاومة الفلسطينية ، بعدم التعمق في العلاقات ، يعني مساله الحركة الوطنية الاردنية ودورها وسط الجماهير الاردنية وطرحها برنامجها الموحد مع المقاومة الفلسطينية ، والشيء الاخر الاكتفاء بالشعارات الفلسطينية المحض التي لا تجيب على مسائل وهموم الجماهير حتى تحولها بدلا من ان يستغل النظام جهلها وتحريضها ضد المقاومة انت ستستمر هذا الشيء لتحريضها طبعا ضد النظام .

هذا الشيء كان ملموسا في تلك الفترة من الممارسات . ■